

الحركات وآفاق التغيير وبناء التيار الوطني

أحمد عز الدين أسعد

أولاً. مدخل نظري: فلسطين من الحركات إلى العَرَائِن

برزت الحركات الاجتماعية في أوروبا في المجتمع الصناعي، وجرى العديد من التحولات على بنياتها وأفكارها ونظرياتها، وربما من أهم التحولات في بردايم الحركات الاجتماعية تحولها من بردايم الطبقيّة إلى البنيوية إلى الفعل، وخصوصاً التحول الأبرز الذي سكه الآن تورين بمفهوم "الذات الفاعلة" التي ترفض الهيمنة وتتحرك من القيود.¹ وحتى يكون بالإمكان التعرف على الحركات الاجتماعية بشكل إجرائي فقد وصفها تشارليز تيلي بأنها جهد جماعي منظم بفعل مجموعة من المشاركين، الذين لديهم أهداف، سياسات، عناصر، ومكونات فكرية، ووسائل تعبئة، وتسعى إلى التغيير، ولها قوام يتمثل في (الحملة، ذخيرة الحركات الاجتماعية، مظاهر الوقفة).² يرى جاسبر أن الأنواع الثلاثة لتعاملات الناس تتمثل في: الإرغام (أسلوب الجيوش والعصابات)؛ المال (أسلوب جماعات المصالح البيروقراطية)، الكلمات والاقناع (أسلوب الحركات الاجتماعية).³

عند تفسير قوام الحركات الاجتماعية يتبين أن الحملة: هي مجهود عام مستدام ومنظم يملئ مطالب جماعية على السلطات المستهدفة. وتتمثل ذخيرة الحركات الاجتماعية في نماذج العمل الساسي من خلق جمعيات وتحالفات، ولقاءات عامة، واعتصامات، ومسيرات، وبيانات، وكراسات

¹ للمزيد حول الحركات الاجتماعية ينظر؛ ألان تورين. نقد الحداثة. ترجمة أنور مغيث. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة. 1997. ألان تورين. بردايغما جديدة فهم عالم اليوم. ترجمة جورج سليمان. بيروت: المنظمة العربية للترجمة. 2011. ألان تورين. الحداثة المتجددة: نحو مجتمعات أكثر إنسانية. ترجمة جلال بدلة. بيروت: دار الساقى. 2020. مانويل كاستلز. شبكات الغضب والامل: الحركات الاجتماعية في عصر الانترنت. ترجمة هايدي عبد اللطيف. بيروت: المركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات. 2017. هانك جنسون. الدولة والحركات الاجتماعية. ترجمة أحمد زايد. القاهرة: المركز القومي للترجمة. 2018.

² تشاليز تلي. الحركات الاجتماعية 1768-2012. ترجمة ربيع وهبة. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر. 2020: ص 41-43.

³ جيمس جاسبر. الاحتجاج: مقدمة ثقافية للحركات الاجتماعية. ترجمة عادل شعبان. القاهرة: المركز القومي للترجمة. 2020: ص 53.

وغيرها، أما عروض الوقفة فهي تمثيل المشاركين جملة من الصفات العامة الموحدة وخصوصًا الجدارة (الوقار، وحضور شخصيات مؤثرة ورجال دين.. الخ)، الوحدة (شارات مماثلة زي موحد.. الخ)، العدد (ملء الشوارع، عدد التواقيع.. الخ)، الالتزام (مشاركة رغم الظروف السيئة، التضحية، ومقاومة القمع... الخ).⁴ لا تعمل الحركات الاجتماعية كتحرركات فردية بل كمحلات تفاعلية؛ تجمع الحركات ثلاث أنواع من المطالب برنامج وهوية ومكانة؛ تؤكد الحركات السيادة الشعبية؛ تعتمد الحركات على مدبرين سياسيين؛ تعمل الحركات على النمذجة والتشبيك والاتصال والتعاون؛ الحركات الاجتماعية كمؤسسة مخترعة يمكن أن تختفي أو تخبو أو تتحول إلى شكل سياسي جديد.⁵ وحسب جيمس جاسبر الحركات الاجتماعية القديمة (مثل النقابات، الاتحادات) تسعى إلى الاستحواذ على الدولة، بينما الحركات الاجتماعية الجديدة تسعى إلى التغيير والاصلاح.⁶

بين آصف بيات أن المزوجة بين النشاط السياسي وممارسة الحياة اليومية يسمى "اللاحركات اجتماعية"⁷، واللاحركات اجتماعية هي "الأفعال الجمعية لفاعلين غير جمعيين، فهم يجسدون ممارسات مشتركة لأعداد كبيرة من الناس العاديين الذين تؤدي أنشطتهم المتشابهة والمتفرقة في الوقت نفسه إلى إحداث تغيير اجتماعي كبير، حتى وأن لم تكن هذه الممارسات موجهة بأيدولوجية أو بقيادات معترف بها أو بتنظيمات. إن مفهوم الحركة يتضمن أن يتوفر في اللاحركات اجتماعية⁸ عناصر ملائمة ومرتبنة على الطريقة التي توجد بها في الحركات الاجتماعية، ومن ثم فإن اللاحركات اجتماعية تشكل كيانات متميزة عن الحركات الاجتماعية."⁹

⁴ تشارليز تلي. المصدر السابق: 42-45.

⁵ المصدر السابق: ص 57-62.

⁶ جيمس جاسبر. مصدر سابق: ص 54.

⁷ آصف بيات. الحياة سياسة: كيف يغير بسطاء الناس الشرق الأوسط. أحمد زايد (مترجم). القاهرة: المجلس القومي للترجمة. 2013: ص 38.

⁸ لنماذج أخرى عن اللاحركات، ينظر؛ آصف بيات. ثورات بلا ثوار: كي نفهم الربيع العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. 2022. كارن روس. الثورة بلا قيادات: كيف سيبادر الناس العاديون لتولي السلطة وتغيير السياسة في القرن الواحد والعشرين. فاضل جكتر (مترجم). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. 2017. أحمد عز الدين أسعد. سوسيولوجيا المقاومة والحراك في فضاءات مدينة القدس المستعمرة. رام الله: مركز الأبحاث- منظمة التحرير الفلسطينية. 2018.

⁹ آصف بيات. المصدر السابق: ص 44.

أما سمات الحركات واللاحركات الاجتماعية والفروق بينهما فقد بينها بيات: "اللاحركات الاجتماعية أو الأفعال الجمعية للفاعلين الذين لا تربط بينهم رابطة جمعية، تميل إلى أن تتوجه بالفعل وليس بالأيدولوجية، وهي تكون هادئة بشكل كبير". أما في الحركات الاجتماعية فعادة القادة هم من يحتكرون التجمعات للضغط على السلطات لتحقيق مطالبهم، أما الفاعلون في اللاحركات فهم لا يمارسون سياسة الاعتراف، وإنما يمارسون سياسة التغيير عبر أفعال مباشرة ومتنوعة. يمارس الفاعلون في الحركات الاجتماعية أفعالاً خاصة للحراك والاعتراض يتجاوز روتين الحياة اليومية، أما اللاحركات الاجتماعية فهي مزيج من ممارسات تختلط بالممارسات العادية للحياة اليومية. وهذه الممارسات لا تنجز من خلال جماعات صغيرة من الناس يعملون على الهامش وإنما ممارسات للحياة اليومية ينجزها ملايين من البشر وإن كانوا متفرقين هنا وهناك، إن قوة اللاحركات الاجتماعية تعتمد على قوة الأعداد الكبيرة.¹⁰

لا يختلف الحراك¹¹ كثيرًا على اللاحركات من الناحية الفكرية كونه لا توجد هوية واضحة لتلك الأشكال الاحتجاجية، لكن ممارسة اللاحركات تكون أقوى وقدرة على التغيير أكثر من الحراك كون اللاحركات تركز على الأعداد الكبيرة، وتفعيل شبكة العلاقات السلبية وشبكة العلاقات الإيجابية وتعمل بمنطق الشبكات، وتنخرط داخلها حركات وحركات اجتماعية؛ لكنها تعمل بمنطق الفعل الجماعي وليس الفاعل، وبمنطق الفعل وليس البنية، وبلا أيديولوجيا محددة، أي تعلي من صوت الممارسة الجماعية أكثر من صوت الفاعلين الفردين أو الجماعيين، ويكون للثقافة والهوية الجمعية دور في التحريك أكثر مما هو دور مناط بالبنيات المجتمعية التي تعمل بمنطق الأيدولوجيا.

على الرغم من تصاعد ظاهرة الحركات الاجتماعية والحركات واللاحركات في فلسطين؛ إلا أن جميعها مرتبطة بشكل مباشر أو غير بالفعل السياسي الحزبي، أي أن الحزبية كمبنى وممارسة ومخيلة سوسيولوجية وسياسية هي تكمن في جوهر الحركات الاجتماعية وأخواتها من أشكال الأفعال الاحتجاجية. وعند التحديق في فلسطين يمكن القول إن هناك تلاصق وأحيانًا تنافر بين

10 المصدر السابق. 54-56

11 ينظر أحمد جميل عزم. الشباب الفلسطيني من الحركة إلى الحراك (1908-2018). البيرة: المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية- مسارات. 2019.

الحراكية الاجتماعية والحزبية السياسية، لكن أحد شروط نهوض الحراكية الاجتماعية يكمن في استنادها على الظهير الحزبي وفواعله المتعددة؛ من أحزاب ومؤسسات حزبية وفاعلين حزبيين ومدبرين حزبيين، أي الاعتماد على الماكينة الحزبية إعلاميًا وتنظيميًا وسياسيًا وثقافيًا. حتى أن ظاهرة العرائنية مثل عرين الأسود في نابلس هي امتداد للظاهرة الحزبية أو ما فوق الحزبية أو الفصائلية الجديدة،¹² لكن عمادها التأثير بالفصائل والأحزاب وانشطتها وخطاباتها وأدواتها، حتى لو اختلفت عن الحزبية في المبنى إلا أنها تتشابه معها في الهوية والفعل والمعنى.

ثانيًا. في الحالة الحزبية وتأثيرها في الحقل السياسي الفلسطيني

هيمنت حركة فتح على الحقل السياسي الفلسطيني منذ عام 1968 وحتى عام 2006، هيمنة منفردة أو ضمن توازنات بالغلبة وتحالفات معقدة ومتعددة، وأدارت الحقل السياسي بشريعات مختلفة منها الشرعية الثورية، ومبدأ ديمقراطية غابة البنادق، ولاحقًا بالشرعية الديمقراطية الانتخابية، والذبائنية والأبوية والأبوية المستحدثة وفق وصف هشام شرابي،¹³ ضمن ميكانيزمات وأليات تثبيت الشرعيات والحكم وإدارة المعارضة واحتوائها، واقتضت أدوات الدولة التسلطية التي تتمفصل وفق خلدون النقيب في الهيمنة على الاقتصاد وقوى المجتمع المدني.¹⁴ بعد توقيع اتفاقية أوسلو ونشوء نظام سياسي فلسطيني، وتشكل أجهزة دولانية، كانت المنافسة بين تيارات حركة فتح وأنصارها وبعض أطراف المعارضة الضعيفة؛ لكن شكلت لحظة انتخابات المجلس التشريعي سنة 2006 نقطة تحول في الحقل السياسي الفلسطيني، ومسألة المنافسة ما بين الأحزاب والتنظيمات الفلسطينية، توجت بفوز حركة حماس في الانتخابات التشريعية، ولحقها انقسام سياسي سنة 2007 ما زال مستمرًا وأسس لحالة استقطاب ومنافسة واقصاء لم يشهد

¹² للمزيد عن الفصائلية الجديدة ينظر، أحمد عزم. "كتيبة جنين وعرين الأسود: (الفدائيون الجدد)". العربي الجديد. 24 أغسطس 2022.

استرجعت بتاريخ 2022/9/18. <https://bit.ly/3UIIYfY>

¹³ ينظر؛ هشام شرابي. النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. 1992.

¹⁴ للمزيد عن الدولة التسلطية في المشرق العربي، ينظر؛ خلدون حسن النقيب. الدولة التسلطية في المشرق العربي المعاصر: دراسة بنائية مقارنة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. 1996.

حدثها الحقل السياسي الفلسطيني من قبل، من حيث ديناميات تصاعد الانقسام السياسي والجغرافي ما بين فتح وحماس وسلطتي الضفة وغزة.¹⁵

يرى جميل هلال أن العقود الثلاثة الأخيرة أدت إلى تفكك الحقل السياسي الفلسطيني، وذلك بفعل تغول دولة الاستعمار الاستيطاني "إسرائيل"، والتناقضات الداخلية بعد اتفاقية أوسلو، وحالة الاغتراب ما بين النخبة وعامة الناس، والانقسام السياسي.¹⁶ وبين هلال أن حالة الاستقطاب في الحقل السياسي الفلسطيني هي سابقة للانقسام السياسي ما بين فتح وحماس عام 2007، وقد عجل الانقسام حالة الاستقطاب وعَجَلَ في حالة الفوضى في الحقل السياسي، ويعزو هلال حالة تأكل الحقل وهشاشته إلى شلل المؤسسات السياسية الفلسطينية، التفتت المناطقي والاجتماعي، التدخل الخارجي الإقليمي والدولي.¹⁷ وبفعل هذا التفكك والانحدار السياسي وظفت القبيلة والعشيرة والجهوية كأداة أو فاعل اجتماعي وسيط ما بين سلطة "السلطة" والمجتمع، وتفاعلت في حالة الاستقطاب والاصطفاف الاجتماعي السياسي في المجتمع الفلسطيني.¹⁸ وبسبب الخلل في المبنى السياسي والاجتماعي والاقتصادي للحقل السياسي الفلسطيني، هُمشت القوى التضامنية وأضعفت وهُيْمَنَ عليها؛ مثل النقابات والاتحادات، واستعويض عنها بالقوى الموازية كالعائلة والقبيلة والجهوية وفق توصيفات خلدون حسن النقيب.¹⁹

يوصف خليل شاهين حالة اضمحلال الحقل السياسي التقليدي بقوله "إن الحياة السياسية الفلسطينية شهدت طوال أكثر من عقدين عملية معقدة أشبه بمحاولة (حشو) الحقل السياسي بتشكلاته السياسية القديمة والجديدة ضمن النظام السياسي المفصل على مقاس اتفاق أوسلو

¹⁵ للمزيد؛ ينظر. جميل هلال. النظام السياسي الفلسطيني بعد أوسلو: دراسة تحليلية نقدية. ط 2. رام الله: المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية مواطن. 2008.

¹⁶ جميل هلال. "تفكك الحقل السياسي الفلسطيني". مجلة الدراسات الفلسطينية. عدد 107. صيف 2016: ص 7-8.

¹⁷ Jamil Hilal. The Polarization of the Palestinian Political Field. **Journal of Palestine Studies**. Vol 39. No 3.

Spring. 2010. P 24.

¹⁸ أحمد حرباوي. "السلطة الفلسطينية وهويتوس القبيلة: استحياء السلطة من الرمز الاجتماعي". مجلة الدراسات الفلسطينية. عدد 131. صيف 2022: ص 40.

¹⁹ خلدون حسن النقيب. مصدر سابق: ص

والسلطة التي أنتجها، من حيث البنية والمؤسسات والصلاحيات والوظائف وخطاب الدولة الزائف، من دون أن تنعكس التغييرات في مكونات الحقل السياسي على موازين القوى وأحجام التشكيلات السياسية ضمن النظام السياسي، ومن دون أن يفرز الواقع الجديد لهذا النظام، في المقابل، بنى حزبية، أو قوى سياسية جديدة، خارج إطار نموذج الحقل السياسي للمنظمة، إذ تحولت حركة فتح إلى حزب السلطة، بينما اكتنف الارتباك والالتباس موقع الفصائل اليسارية ودورها، والتي أصبح بعضها لاحقاً معارضة في سلطتين تسعى كل منهما لفرض شروط لعبتها أو هيمنتها السياسية²⁰. وهذا يفسر بمقولات سوسيولوجية مرتبطة بطبيعة النظام الأبوي والأبوية المستحدثة (هيمنة الأب- القائد/ الذكر)، وفكرة الدولة التسلطية التي تتمفصل في المبنى الاقتصادي وتتسرب إلى المجتمع المدني ومؤسساته، وانعكاس لهشاشة الدولة (السلطة) المرتبطة بطريقة جدلية بهشاشة القوى الاجتماعية وضعف قدراتها التمثيلية لقواها وقواعدها الشعبية.

شكل الانقسام حالة استقطاب بين حركتي فتح وحماس، وفشلت القوى الأخرى اليسارية والديمقراطية ومنظمات المجتمع المدني والحركات وعدد من المبادرات في بناء نموذج لتيار ثالث،²¹ أو التوحد في بوتقة حزبية أو جبهوية أو الانتظام في إطار عام قادر على تجاوز الانقسام، وكسر هيمنة حركتي فتح وحماس على المشهد السياسي الفلسطيني، كذلك فشلت تلك القوى في إقناع الحركتين بمبدأ اشراكهم في الهيمنة السياسية واتخاذ القرار، مع أن الحركتين تعملان بمنطق التوازن بالغلبة والأبوية المستحدثة والذبائنية السياسية والاقتصادية، في توظيف "أحزاب الكنبة"، والمستوزرين و"السحيجة والفحيجة"، والقوى السياسية التقليدية غير الفاعلة إلا بإشغال حيز الفراغ لاسمها وتاريخها، وهي قوى قليلة المروءة سياسياً واجتماعياً وشعبياً، ولا تحمل من الفاعلية السياسية سوى اسمها وإحصائها كرقم وعدد، محصلة قوتها السياسية والفيزيائية صفر معنوياً وميدانياً.

ما يؤكد هشاشة المعارضة الحزبية والمؤسساتية، أو هشاشة أطر فواعل التغيير على مستوى الحقل السياسي الفلسطيني، عدم تمكن العديد من الأحزاب الفاعلة في الحقل السياسي

²⁰ خليل شاهين. "برامج عمل تشاركية تعيد بناء الحقل السياسي الوطني". مجلة الدراسات الفلسطينية. عدد 105. شتاء 2016: ص 36.

²¹ للمزيد حول تجربة التيار الثالث في انتخابات عام 2006 ينظر؛ نادر سعيد (رئيس الفريق). التيار الثالث في السياق الفلسطيني: حول المفهوم والتطبيقات في التنمية والديمقراطية. بيرزيت: مركز دراسات التنمية- جامعة بيرزيت. 2007.

الفلسطيني بشخصية أمينها العام، على تشكيل قائمة انتخابية لانتخابات المجلس التشريعي التي تأجلت أو ألغيت في عام 2021؛ كونه يمثل مقولة "أنا الحزب" استبطاناً لخاطب وممارسة القرون الوسطى "أنا الدولة". وفشل عدد من الأطر الحزبية والمؤسساتية التوحد في قائمة ائتلافية تكون مقنعة للناخبين في انتخابها، حتى تتجاوز نسبة الحسم وتنافس التيارات الكبرى (في حال جرت الانتخابات). وربما يعكس تعدد القوائم 36 قائمة حاليتين: الأولى إيجابية، من باب الرغبة في المنافسة والتغيير وتجديد دماء النظام السياسي الفلسطيني؛ والحالة الثانية سلبية، تعكس حالة التشطي والوهن والتذمر لدى القوى المنافسة التي ترى في النظام السياسي ميداناً للتنافس والاكتمسب، وتعكس في أحيان حالة الاستزلام والذبائنية في التحالفات بعد النتائج للعب دور "بيضات القبان"، لأن ولا قوى أخرى امتلكت قدرة أن تكون "بيضة القبان"؛ سواء في الممارسة السياسية أو الاجتماعية أو الانتخابية.

عكست نتائج انتخابات المجلس التشريعي 2006 أن المنافسة الحقيقية هي بين تيارين مركزيين هما فتح وحماس، وهذا ما تؤكد انتخابات بعض مجالس الطلبة في جامعات الضفة الغربية، ونأخذ نموذج انتخابات مجلس اتحاد الطلبة في جامعة بيرزيت مؤشراً على ذلك؛ وسبب اعتماد نموذج انتخابات مجلس الطلبة في جامعة بيرزيت لطبيعة الأجواء الديمقراطية التي تمر فيها العملية الانتخابية مع هامش تدخلات أقل من الجامعات الأخرى، وانخراط غالبية الكتلة الطلابية (إسلامية ويسارية) ومشاركتها في الانتخابات، تنوع الطلبة من الناحية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والجغرافية. تعكس نتائج انتخابات مجالس الطلبة منذ الانقسام وحتى عام 2022 أن المنافسة الحقيقية هي بين كتلة ياسر عرفات (شبيبة فتح) وبين الكتلة الإسلامية (شبيبة حماس)، وبقيت الكتل الطلابية لغالبية الفصائل دون القدرة على الفوز، وبعضها حافظ على عدد مقاعده من سنوات ولم يتقدم، وأطر طلابية أخرى لم تستطع تشكيل كتلة طلابية لخوض انتخابات مجلس طلبة - في حين أن لها تمثيلاً في قمة الهرم السياسي-.

تبين بعض المؤشرات الأولية التي نشرها مركز البحوث السياسية والمسحية خلال عام 2020 وحتى عام 2022 أن الفوارق بين فتح وحماس في الأوزان متقاربة في حال حصلت انتخابات تشريعية:²²

رقم الاستطلاع	تاريخ الاستطلاع	نسبة فتح	نسبة حماس	الفرق في النسبة
استطلاع رقم 85	20 أيلول 2022	% 34	% 32	%2
استطلاع رقم 84	28 حزيران 2022	% 35	% 36	%1-
استطلاع رقم 83	22 آذار 2022	% 42	%36	%6
استطلاع رقم 82	14 كانون الأول 2021	%35	%38	%3-
استطلاع رقم 81	21 أيلول 2021	%32	%37	%5-
استطلاع رقم 80	15 حزيران 2021	%30	%41	%11-
استطلاع رقم 79	23 آذار 2021	%43	%30	%13
استطلاع رقم 78	15 كانون الأول 2020	%38	%34	%4
استطلاع رقم 77	15 أيلول 2020	%38	%34	%4

²² للاطلاع على الاستطلاعات، يمكن زيارة صفحة المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية، على الرابط:
<https://www.pcpsr.org/ar/node/602>

استطلاع رقم 76	23 حزيران 2020	%36	%34	%2
معدل آخر 10 استطلاعات		%36	%35	%1

تبين نتائج الاستطلاعات خلال السنوات 2020-2022 أن هناك تقارب كبير في أوزان حركتي فتح وحماس، وأن القاعد الشعبية شبه ثابتة لكل حزب، وخلال 10 استطلاعات هناك 6 حالات تقدمت فيها فتح على حماس، و4 مرات تقدمت حماس على فتح، لكن المعدل العام لوزن التيارين خلال السنوات الثلاثة الأخيرة متقارب جدًا حيث حصلت فتح على نسبة 36% في حال وقوع انتخابات تشريعية كمعدل عام لآخر 10 استطلاعات، وحصلت حماس على معدل عام 35%. وهذا يؤكد أن الأوزان متقاربة وما يؤثر فيها طبيعة التحالفات السياسية والاجتماعية والاقتصادية؛ إلى جانب الظروف السياسية العامة وانخراط كل تيار في العمل الشعبي والمقاوم يؤثر على شعبيته ومكانته وحضوره السياسي والاجتماعي.

ما زالت حركتي فتح وحماس تهيمنان على الحقل السياسي الفلسطيني، وعلى انتخابات مؤسسات المجتمع المدني والنقابات المهنية، وتلعب أحزاب المعارضة اليسارية دورًا في تعزيز هيمنة التيارين الكبيرين في الحقل السياسي الفلسطيني. لم يجر تغيير جوهري على أوزان حركتي فتح وحماس في المجتمع الفلسطيني، ومؤشر ذلك أن هناك قاعدة انتخابية وجماهيرية (الكتلة الصلبة) لكل حركة شبه ثابتة، يتم استثمارها في المعارك السياسية والاجتماعية والإعلامية، لكن هناك عوامل أخرى مثل المقاومة والملفات السياسية تخصب وتزيد أوزان كل حركة على حدا في ظروف معين؛ لكن هذه العوامل تؤثر في جمهور المناصرين والكتلة الصامتة والمعوميين سياسيًا؛ ولا تأكل من الكتلة الصلبة لتك الأحزاب.

ثالثًا. الحركات، اللاهركات، والحركات: سؤال الفشل والديمومة

يرى جاسبر أن غالبية الاحتجاجات تفشل ولكن غالبية دراسي الحركات الاجتماعية يدرسون النجاح ولا يركزوا على الفشل.²³ ربما أن الاحتجاجات تفشل ليس فشلًا مدويًا؛ وإنما فشل عن تحقيق كل

²³ جيمس جاسبر. مرجع سابق: ص 39.

الأهداف، كون طبيعة الحركات الاجتماعية الجديدة تنشد الإصلاح أو التغيير الجزئي وليس التغيير الكلي، في حين أن اللاهركات اجتماعية هي تعمل عندما تستشعر الخطر، وبسبب تركيبتها بدون راس وقيادة مركزية فصعب احتوائها أو تحييد قياداتها، لذلك تبقى تعمل من اجل التغيير وتحقيق المطالب كاملة. في حين الحركات أيضاً تفشل بسبب هشاشتها البنيوية على مستوى المطالب والخطاب والممارسة.²⁴

يقول رجا الخالدي على الرغم من تجذر الطبقة الرأسمالية والهيمنة الاستعمارية والاقتصادية الوطنية إلا أن النضال الوطني يبقى هو الطاعي على النضال الاقتصادي والاجتماعي.²⁵ وتبرز أولوية الوطني على المطلبي والمعيشي في السنوات الأخيرة بشكل ملفت. وهذا يجعل أي حراك مرتبط بقضايا مطلبية معيشية ينتهي بالفشل سواء بتلبية مطالبه أو بالالتفاف عليه واجهاضه أو وأده في المهدي قبل الخروج إلى الميدان. فالحراكية الوطنية سواء على شكل حركة أو حراك أو اللاحركة أو العرين في الغالب يشكل ظاهرة مؤثرة، وتأخذ صدى أكبر من أي حراكية سياسية داخلية، والحراكية السياسية الداخلية تتعثر لأسباب كثيرة مرتبطة بقوامها كحركة اجتماعية من ناحية الذخيرة وعروض الوقفة والحملة، واستعمال أساليب الاقناع وغيرها من أفكار سوسولوجيا الحركات الاجتماعية. أما الحراكية المرتبطة بالحركات الاجتماعية مثل النقابات والاتحادات فإنها تنجح أحياناً وتفشل في أخرى ومن أمثلتها العصيان الطبي للأطباء، وحراك المعلمين، وقانون الضمان الاجتماعي وغيرها؛ إن النجاح والفشل مرهون بمسال مرتبطة بالاقناع والتنظيم وذخيرة تلك الحركات وحملاتها وعروض الوقفة.

تربك العلاقة الجدلية ما بين هشاشة الدولة وهشاشة المجتمع وفق ما أطرها عبد الاله بلقزيز،²⁶ أفاق التحرك والتغيير السياسي والاجتماعي في المجتمع الفلسطيني؛ وذلك بسبب هشاشات المجتمع والسلطة والمعارضة. يقول هلال لقد "ترتب على عدم ثقة الناس بالنخبة السياسية

²⁴ للمزيد حول هذه المظاهر والظواهر ينظر؛ جميل هلال (محرر). الحركات الشبابية الفلسطينية: رؤية نقدية استشرافية. البيرة: المركز الفلسطيني للأبحاث والدراسات الاستراتيجية. 2013.

²⁵ رجا الخالدي. " الوطن والطبقة: أجيال التحرير الفلسطيني". مجلة الدراسات الفلسطينية. عدد 118. ربيع 2019: ص 173.

²⁶ للمزيد ينظر عبد الاله بلقزيز. الدولة والمجتمع: جدليات التوحيد والانقسام في الاجتماع العربي المعاصر. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر. 2008.

والطبقة الرأسمالية شيء من فقدان سبل التحرك الجماعي من خلال الأحزاب والاتحادات الشعبية والنقابات المهنية والمنظمات الأهلية، بعد أن اختزلت هذه دورها إلى مكاتب إعلامية وخدماتية وزبائنية متغافلة عن تاريخها النضالي، ومرتدة عن قاعدتها الجماهيرية المنظمة. لذا لجأ الناس إلى أشكال من الحركات الموقعية والمطلبية والفردية المباشرة..²⁷ أي أن بعض الحركات ومحاولات النهوض السياسي والاجتماعي ولدت مشوهة ومتذررة، وربما هي انعكاس "للأرق الهوياتي" بلغة أباهر السقا²⁸، وحالة التيه السياسي والتشظية الاجتماعية والاقتصادية. أي أن جزء من محاولات النهوض والحراك والتغيير لم تخرج من عباءة المنظومة السياسية والاجتماعية والاقتصادية القائمة، ولم تحدث قطيعة معها، وإنما عملت في مجالها وفلكها؛ وربما هذه من شروخ المعارضة ومثالبها؛ التي تعمل في ذات المهادات التي تنشط فيها قوى السلطة والنخب الحاكمة، وهذا ما يفشل في الغالب الحركات والحركات والمحاولات الاحتجاجية الإصلاحية التي تنشأ التغيير على ذات المسافة مما هو قائم.

لقد رفع الملتقى الوطني الديمقراطي شعار "بدنا نغير- بدنا نحرر- بدنا نعمر"؛ أي أعطى الملتقى التغيير السياسي أو المجتمعي أولوية على التحرير (وفق ما ورد في الشعار أعلاه)، وهذا يلمح إلى أن الهدف المركزي للملتقى هو دخول العملية السياسية والتكيف معها ومحاولة التغيير من داخلها، فقد ورد التغيير قبل شعارات التحرير والتعمير. وبعد أكثر من عام ونيف من اعلان الملتقى لم يتجاوز عدد متابعي صفحة الملتقى على الفيسبوك 9.5 ألف متابع، وهذا مؤشر على أن تجربة الملتقى لم تلق انتشارًا واسعًا في فئات المجتمع الفلسطيني وأوساطه وخصوصًا الشبابية التي تتمركز وتتفاعل في الوسائط الاجتماعية الالكترونية، وكذلك الحال في منشورات الملتقى على الصفحة تلقى تفاعلًا بالعشرات فقط، عند مقارنة عدد المتابعين في منصات أخرى على الفيسبوك سواء لمؤثرين أو صفحات إعلامية أو غيرها؛ يتبين أن الملتقى لم ينجح في ترويج أفكاره وبثها، كذلك لم يستطع اختراق الأوساط الإعلامية التفاعلية الشبابية، ومن المعلوم أن الشباب هم نصره أي قوى اجتماعية تسعى للتغيير، وتلك مؤشر تعكس هشاشة تجربة الملتقى

²⁷ جميل هلال. مصدر سابق: ص 8.

²⁸ أباهر السقا. "الهوية الاجتماعية الفلسطينية.. تمثالاتها المتشظية وتداخلاتها المتعددة". التجمعات الفلسطينية وتمثالاتها ومستقبل القضية الفلسطينية: المحور الأول الفلسطينيون الهوية وتمثالاتها. البيرة: المركز الفلسطيني للدراسات والدراسات الاستراتيجية. 2013.

على المستوى الإعلامي والسياسي والجماهيري، وعلى مستوى التغيير ولفت الانتباه في البداية قبل أي عمل آخر. ويعتبر الكلام أو الخطابة أو الاقناع أحد أهم مرتكزات عمل الحركات الاجتماعية وفق جيمس جاسبر، فهو يشدد على الخطابة في الاقناع، ويقول "تسعى الحركات الاجتماعية، شأنها شأن الخطيب الذي يخطب في ميدان عام، للوصول إلى جماهير المستمعين والمشاهدين وتحاول إقناعهم بأن يشعروا، أو يؤمنوا، أو يتصرفوا بطريقة معينة..."²⁹

كما يطرح الملتقى برنامج إعادة بناء النظام السياسي ومحاربة الفساد وتعزيز الصمود والتصدي لاستعمار وإنجاز الاستقلال الوطني³⁰؛ إن التدقيق في هذا الخطاب والبرنامج يبين أن البرنامج المطروح لا يختلف عن الخطابات الرسمية الفلسطينية سواء من مؤسسات النظام السياسي أو رموزه أو قياداته وحتى لا يختلف عن خطاب حركة فتح ذاتها. وهذا ما يشير إليه جاسبر "أن معظم الحركات الاجتماعية في الوقت الحاضر تسعى إلى التأثير القوي على الدولة، وليس في الاستحواذ عليها"³¹، وهذه الأفكار الإصلاحية أحياناً لا تلقى اهتمام القواعد الشعبية للتحرك، ولا تحدث الفعل الاحتجاجي كون الجماهير تستشعر الخطر وفق نموذج الاحركات الاجتماعية.

أما بخصوص تجربة القوائم الانتخابية والحركات المشكلة لها والمنبثقة عنها بعد تأجيل الانتخابات، لم تطور تلك الحركات رؤية نضالية سواء على المستوى المطليبي والسياسي أو على المستوى الوطني النضالي، وبقيت حبيسة الظاهرة الصوتية الخطابية الشعاراتية، دون الخطابة والاقناع المستند على أسس الحركات الاجتماعية وقوامها من (الحملة، ذخيرة الحركات الاجتماعية، مظاهر الوقفة)، وأكبر مؤشر على وهن تلك الحركات وعدم تجذرها مجتمعيًا وجماهيريًا، فشل تلك الحركات والقوائم في تجييش الشارع الفلسطيني ضد قرار تأجيل الانتخابات، وعندما تمت الدعوة إلى التظاهر ضد القرار على دوار المنارة، لم تنجح تلك التظاهرة في الحشد والتأثير على الرأي العام الرسمي والشعبي، ويفسر ربما ذلك؛ بارتباط تلك الحركات والقوائم بفاعل أو فاعلين داخل القائمة أو الحراك، ولا يجسد الحراك انعكاسًا لشرائح المجتمع الفلسطيني وبناءه وقواه الاجتماعية والاقتصادية والشعبية، التحول في شكل الاحتجاج من فعل جماعي إلى فعل فردي أو فعل

²⁹ جيمس جاسبر. مصدر سابق: ص 53.

³⁰ ينظر تعريف الملتقى على مواقع التواصل الاجتماعي.

³¹ جيمس جاسبر. مصدر سابق: ص 54.

جماعتي (جماعة صغيرة تربطها المصالح وليس علاقات اجتماعية شبكية بنيوية)، فشل تلك الحركات والقوائم في التحالف مع القوى الموازية مثل العائلة والطائفة والعشيرة كقوى عاملة في ظل هشاشة المجتمع المدني وأطره وشبكاته، هشاشة التنسيق والترابط والتشبيك ما بين الحركات ومنظمات المجتمع المدني القادرة على الحشد والتفاعل. طبيعة الحركات ومبناها لا تجعلها قوة فاعلة وإنما قوة معارضة، وهذا ما بينه عزم من سمات للحراك بالمعارضة والرفض والبراءة من الحزبية وضعف التمويل وغياب القيادات.³²

تعرف الحملة الوطنية لإعادة بناء منظمة التحرير الفلسطينية نفسها بما يلي: "في ظل هذا الوضع نعلن عن إطلاق حملة فلسطينية جامعة تدفع باتجاه إعادة بناء منظمة التحرير الفلسطينية من خلال إجراء انتخابات مجلس وطني جديد لكل الشعب الفلسطيني وإطلاق زخم وطني بحيث يتم انتخاب قيادة جديدة لمنظمة التحرير الفلسطينية منبثقة من القاعدة الجماهيرية العريضة للشعب الفلسطيني في كل أماكن تواجده لإجراء عملية إصلاح شاملة لما خربته مسيرة أوصلو الكارثية، متمسكين باللحمة الوطنية للشعب الفلسطيني ووحدة أرضه وبالثوابت الوطنية في التحرير وحق تقرير المصير. نحن مجموعة فلسطينية تؤمن بما انطلق منه ميثاقنا الوطني (1968)، وهو أن القضية الفلسطينية قضية تحرر وطني يناضل فيها الشعب الفلسطيني ضد الاستعمار والاحتلال الصهيوني، وقد تعزز نضاله بعد إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني. فوجود منظمة قوية وفاعلة حال دون تصفية القضية الوطنية والحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني إلى أن وقعت في برائن اتفاقيات أوصلو، حيث تم تجزئة الشعب الفلسطيني إلى فلسطيني الداخل والخارج، وتم تجزئة الوطن الفلسطيني، وأنشأت السلطة الفلسطينية كإدارة مدنية تحت الاحتلال. يتقاطع مجهود هذه الحملة مع حركات قائمة وسابقة ويعتمد على نبض الشارع الفلسطيني وضميره الحي ويعتزم مواصلة الجهد في ذات الاتجاه وندعو كافة أطراف الشعب الفلسطيني إلى الانضمام إلى الحملة الوطنية لإعادة بناء منظمة التحرير الفلسطينية. وتبقى فلسطين هي البوصلة"³³ تعبر خطابية الحملة عن هم كل فلسطيني ولا يختلف عليها أي تيار

³² للمزيد ينظر، أحمد جميل عزم. الشباب الفلسطيني من الحركة إلى الحراك (1908-2018). البيرة: المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية- مسارات. 2019.

³³ https://pnc-elect.org/?post_type=project&p=9553

سياسي فلسطيني، لكن الإشكال المركزي في جوهر الحملات كأسلوب للتغيير، كون الحملات هي ملهمة للتغيير وليست أداة التغيير، كونها تعمل على اطلاق الفاعلية التوعوية، وتأخذ الحملات وقتاً كي تبنى وتنجح، وحتى تنجح تحتاج إلى القيادة والمدبرين والخبرة والقواعد الشعبية، أي أن الحملات من الناحية السوسولوجية تختلف عن الحركات الاجتماعية قاطرة التغيير الاجتماعي والسياسي التي لها هوية وأهداف ومطالب ولها أدوات للفعل وخصوصاً ذخيرة الحركات الاجتماعية وعروض الوقفة بما تحويه من (الجدارة، الوحدة، العدد، الالتزام).

تحدث الحملة عن تمثيل 14 مليون فلسطيني، في حين أن عدد متابعي الصفحة حوالي 1300 عضو. كذلك فشلت الحملة والتحالف الشعبي للتغيير، في تنظيم احتجاج مركزي جماهيري ضد اغلاق السلطة الفلسطينية لمؤتمر الحملة والتحالف في رام الله. وعند اجراء فحص أولي سريع لدى مجموعات مختلفة من طلبة جامعيين لسنوات مختلفة وتخصصات مختلفة تشمل العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية تبين كنتيجة أولية تقريباً من حوالي 80 طالب وطالبة، لا أحد من الطلبة قد سمع أو عَلِمَ بماهية أو اسم التحالف الشعبي للتغيير والحملة الوطنية لإعادة بناء منظمة التحرير، مع أن بعض الطلبة نشطاء في الحركة الطلابية، وهذا مؤشر خطير أن غالبية الحركات والحركات فشلت في أهم عمليات التأثير التي تقوم بها الحركات الاجتماعية وهو الخطابة والإقناع. كذلك؛ هو حال التحالف الشعبي للتغيير³⁴ فلا يزيد عدد المتابعين لصفحة الفيسبوك 300 متابع، ومنشورات الصفحة لا تتجاوز مؤشرات الإعجاب عشرات المعجبين والمعلقين. ويعرف التحالف الشعبي للتغيير انه مكون من: حركات شعبية وطنية؛ مجموعات شبابية نسوية؛ شخصيات وطنية وكتل انتخابية؛ مجموعات سياسية مستقلة ونقابية. في حين أن عروض الوقفة وذخيرة التحالف الشعبي للتغيير لا تعكس هذا الزخم في تعريفه عن نفسه.

لخص عبد الاله بلقزيز أزمة المعارضة الذاتية في الوطن العربي قبل أكثر من عقدين من الزمن، في عدد من السمات وهي: سياسة بلا مشروع سياسي؛ قدرات تمثيلية متهاكة؛ الاستتباع السياسي؛

³⁴ للقراءة مقال عن التحالف وحملات سابقة ينظر؛ عوض عبد الفتاح. "عن مبادرة التغيير الجديدة في فلسطين". عرب 48. 2022/9/9.

استرجعت بتاريخ 2022/11/20. <https://bit.ly/3EqOQxq>

التعاون مع الأجنبي.³⁵ وربما تنطبق بعض هذه السمات أو جميعها على أطراف المعارضة السياسية والاجتماعية الفلسطينية، كما تنطبق بعضها على السلطة ذاتها ومكوناتها وبنائها السياسية، وهذا ما يؤكد مقولة الورقة الرئيسية أن الواقع الفلسطيني يتمثل في هشاشة السلطة وفي هشاشة المعارضة أيضًا، وإن العلاقة تبادلية بينهما.

رابعًا. متطلبات التغيير: الإصلاح البنوي

ما هي متطلبات التغيير بين الإصلاح من داخل المؤسسات أو التغيير الجذري من خارجها، ما المقاربة الأكثر جدوى لإحداث التغيير في ضوء المتداول حول عقد مؤتمر أو مؤتمرات شعبية، أو تشكيل جبهة وطنية موحدة، أو جبهة إنقاذ/خلاص وطني؟

تبنى الورقة فكرة الإصلاح من الداخل وتستند تلك الرؤية على عدد من الأمور أهمها: أن التجربة التاريخية الفلسطينية في الإصلاح لمنظمة التحرير الفلسطينية وتثويرها كانت من الداخل، فبعد معركة الكرامة سنة 1968 لم تهدم المنظمات الفلسطينية المقاتلة منظمة التحرير الفلسطينية التي كانت تحت الهيمنة العربية والشخصيات التقليدية الأبوية الفلسطينية، وإنما جرى إصلاحها من الداخل؛ حيث جرى المحافظة على الكيانية السياسية والمعنوية الفلسطينية المتمثلة في منظمة التحرير آنذاك كقاعدة للوحدة الوطنية الفلسطينية، واستطاعت الأحزاب والفصائل وفواعل الحقل السياسي والعسكري والإعلامي والثقافي الفلسطيني الالتقاء في مساحة للوحدة الوطنية والعملية تحت راية منظمة التحرير الفلسطينية.

أما النقطة الثانية التي تدعم الإصلاح من الداخل، إن المجتمع الفلسطيني والحقل السياسي الفلسطيني يعانين من هشاشات بنيوية في البنى المدنية والحداثية (البنية الأهلية من عائلات وعشائر وجهوية ما زالت صلبة)، وأن أي محاولة للهدم أو استبدال البنى القائم بنى جديدة، قد يفقد الفلسطينيون كثيرًا من المكاسب السياسية والتمثيلية والهوياتية والشرعية التي اكتسبت بالممارسة والعرف والتقادم التاريخي.

³⁵ عبد الاله بلقزيز. "أزمة المعارضة السياسية في الوطن العربي". في عبد الاله بلقزيز (محرر). المعارضة والسلطة في الوطني العربي: أزمة المعارضة السياسية العربية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. 2001: 28، 31، 39، 43.

أما النقطة الثالثة التي ترتبط بضرورة الإصلاح من الداخل، إن أي إصلاح من الخارج قد يؤدي إلى عدم نهوض أي كيانية أو مؤسسة تمتلك شرعية التمثيل حتى لو التمثيل اللفظي للفلسطينيين نظرًا لعدم الاعتراف بها عربيًا أو دوليًا ولا حتى محليًا، وهذا يترك الفلسطينيين في دائرة مفرغة في التمثيل، على علات التمثيل الحالي أو أن صح تسميته تمثيل مبتور؛ إلا انه تمثيل يمكن تعزيره من خلال الإصلاح الداخلي والمراكمة في عمليات الإصلاح من أسفل إلى أعلى.

كذلك، هناك نقطة رابعة ترفض الإصلاح من الخارج أو الإصلاح من الداخل بالعنف، كون ذلك يزيد من تفسخ النسيج الاجتماعي والسياسي الفلسطيني، وخير مثال ذلك الانقسام الذي ما زال يمثل شرخًا كبيرًا في الحالة السياسية الفلسطينية، واعتقد أن الحالة الفلسطينية لا تحتاج إلى شروخ جديدة أو تفعيل شروخ سابقة، أو التأسيس لشروخ قادمة في المستقبل.

منذ سنوات أو على الأقل، ما بعد مرحلة الانقسام الفلسطيني، وهناك سؤال شاغل الساسة والمحللين والمتابعين حول مستقبل السلطة، وكانت تدور الأمور في ثنائية حل السلطة أو إصلاحها أو تغيير وظائفها، وربما كانت أدق التشخيصات والتحليلات ما تقدم به عزمي بشارة بالقول إن حل السلطة فكرة غير واقعية، كون السلطة ليست شركة أو فريق كشاف؛ إنما هي شبكة مؤسسات ومصالح ومئات الاف الموظفين ورجال الأمن، وحل السلطة فكرة غير واقعية،³⁶ فإذا كان حل السلطة فكرة غير واقعية، والسلطة حديثة العهد وأسست بموجب اتفاقيات سياسية، وولدت ولادة قيصرية من خاصرة الانتفاضة الأولى، والسلطة مؤسسة ليست تمثيلية للكل الفلسطيني في الداخل المستعمّر وفي الشتات، فهل فكرة حل المنظمة أو هدمها أو بناء اطار تمثيلي آخر هي أفكار منطقية؟! بالتأكيد الإجابة أنها أفكار غير منطقية، على الرغم من منطقية اصلاح منظمة التحرير وتفعيلها وتطوير مؤسساتها، وإعادة انتخاب المجلس الوطني الفلسطيني، أو على الأقل تمثيل الكل الفلسطيني بالمجلس الوطني كما كانت تجري سابقًا عمليات التمثيل.

حتى يتم تفعيل منظمة التحرير الفلسطينية، وبناء مجلس وطني فلسطيني تمثيلي للكل الفلسطيني، الجدير في البداية توافر إرادة سياسية لإصلاح المنظمة وتفعيلها وعدم الهيمنة عليها

³⁶ عزمي بشارة. صفقة ترامب - نتنهاهو: الطريق الى النص، ومنه الى الإجابة عن سؤال ما العمل؟. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2020: ص 106.

أو اختطافها من قبل أي فريق سياسي فلسطيني، إلى جانب توافر عقد اجتماعي وطني فلسطيني يكون القاسم المشترك لكل الفلسطيني، واعتقد أن الميثاق الوطني الفلسطيني لعام 1968 يصلح ليكون عقد وطني فلسطيني كونه عالج قضية فلسطين بسردياتها الأساسية. وقد اعادت هبات اونتفاضات الشعب الفلسطيني خلال الأعوام 2014 من هبة الشهيد محمد أبو خضير وحتى هبة 2022 الاعتبار لكل الفلسطيني في كل امكان تواجهه، وعاد وهج الهوية الجماعية الفلسطينية التي اكدت انها عصية على كل محاولات التفتيت والتجزئة والتكسير.

كما أن الإصلاح يكون من الميدان والقواعد الشعبية، ومن أسفل إلى أعلى، وخير مثال على محاولات النهوض والإصلاح السياسي والميداني للظاهرة السياسية والاجتماعية الفلسطينية بعدها الحياتي اليومي والبعد الوطني، ظاهرة عرين الأسود وكتيبة جنين؛ كظواهر تتفوق على الحزبية، وتنشد خطابًا وطنيًا جمعياً بعيداً عن التخوين والتكفير والفئوية الضيقة، وتتبنى تلك الظواهر مدخل الممارسة والفعل للتغيير والإصلاح. وهناك مثال آخر سابق لمثل هذه الظواهر وهو محاولات الحركة الطلابية في جامعة بيرزيت في بناء خطاب وطني جماعي على المستوى الطلابي داخل الجامعة لمحاربة ظواهر الانقسام والتفتت والهشاشات الأخرى، ونبتت حول تلك الظاهرة ظواهر أخرى من حركات طلابية وشبابية تنشط في الفضاءات العامة الفلسطينية في مساندة قضايا الاسرى وعائلات الشهداء والاحتجاجات والاعتصامات في محافظة رام الله والبيرة، ومحافظات أخرى، تمثل هذه المحاولات نواة حقيقة لعملية الاصلاح من أسفل والبدء في عمليات التنظيم والاقناع والمراكمة، وهي تبدأ من الأطراف ومن اسفل لتستطيع المراكمة والتغيير في المركز.

حتى تتمكن القوى الاجتماعية والسياسية المعارضة وغير المعارضة من النهوض والتجديد واكتساب القواعد الشعبية والشرعية فإنها بحاجة إلى عمل دؤوب وفعل ميداني جبار، يرادف ذلك الفعل التجديد في الخطاب السياسي الفلسطيني على المستوى الاجتماعي اليومي وعلى المستوى الوطني؛ تجديد البنى التنظيمية بعيداً عن البيروقراطية والأبوية المستحدثة والتسلطية واللؤم السياسي والتنظيمي والغرائز الحزبية المنغلقة على ذاتها؛ إعادة الاعتبار للفكرة الوطنية الفلسطينية والكيانية الفلسطينية الجماعية المتمثلة في منظمة التحرير الفلسطينية، وذلك من

خلال إعادة انتخاب/ تعيين مجلس وطني فلسطيني يمثل الكل الفلسطيني، وفق عقد وطني اجتماعي جمعي عبر إعادة تفعيل الميثاق الوطني الفلسطيني لعام 1968.

في سبيل الختام

لا يمكن للحركات وحدها بناء التيار الوطني، لكن يمكن للحركات شق الطريق للتغيير أو على الأقل بدء العمل والتحضير لعمليات التغيير، كون التغيير على المستوى المطلي والسياسي والوطني ليست مهمات فردية أو جماعات وفرق صغيرة؛ وإنما هي مسألة كبرى تحتاج إلى تفاعلات جماعية، وإلى أفعال وممارسات من فاعلين جمعيين وأفعال جمعية، كما تحتاج إلى عمليات تنسيق وتشبيك عبر عقد اجتماعي وطني يعبر عن هوية ومطالب ومكانة كل فلسطيني.

تفشل الحركات والحركات الاجتماعية في فلسطين لأسباب ذاتية وأخرى بنيوية، وهي في الجوهر تعكس هشاشة البنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية التي تنتج تلك الحركات دون إنضاجها بالشكل الكافي. إلى جانب اغتراب بعض تلك الحركات عن الحزبية أو عملها بمنطق يعاكس توجهات الأحزاب، وفي العادة ما يُنجح الحركات والحركات الاجتماعية والاحتجاجية وقوف الأحزاب خلفها وأمامها ومعها، وعبر إمدادها بماكينه الحزبية البشرية والإعلامية والخبرات والمدبرين والمنظمين... الخ.

برزت ظواهر استفادات من خبرات الحزبية وماكينتها ومدبريها بشكل يشبه المخيلة السوسولوجية والسياسية، وآخر أمثلة يمكن الإشارة لهما ظاهرة العصيانية والعرينية، فالعرينية هي ظاهرة مرتبطة بعرين الأسود في نابلس فقد شكلت ظاهرة قادرة على تحريك الشارع والهابة كونها استثمرت عناصر مهمة متوفرة في الماكينة الحزبية والحركات الاجتماعية؛ وأهما في حالة العرين، أساليب الخطابية والاقناع بأهمية الوحدة والتغيير والفعل الشعبي والممارسة الكفاحية فوق الفصائلية باندماج الفصائلية في بنية "غير فصائلية" قوامها الفصائل. أما الظاهرة الأخرى فهي العصيانية التي برزت بشكل مؤقت وسريع في مخيم شعفاط بعد تنفيذ الشهيد عدي التميمي عملية حاجز شعفاط، فالعصيانية هناك كانت في المخيلة وريثة التجربة الفلسطينية العصيانية

1936-1936 وتجربة الانتفاضة الأولى وخصوصا بيت ساحور 1988-1989،³⁷ وكانت العصيانية في مخيم شعفاط جماعية وعلنية وبقرار مشترك والتفاعل ما بين العرينية والعصيانية يمكن سؤال الحراكية وبناء التيار الوطني؟

³⁷ ينظر؛ أحمد عز الدين أسعد. بلاد على أهبة الفجر: العصيان المدني والحياة اليومية في بيت ساحور. بيروت: المركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات. 2021.